# السعادة الروحية في المحبة الإلهية

**أ.م.د. إياد مطلك كطان**
**كلية الآداب/ جامعة واسط**

## المقدمة:-

إن دراسة أية فكرة من الأفكار العقلية تستدعي الوقوف على عناصر الالتقاء والافتراق بين بعض الأفكار، لذا من الممكن إن نجد لها حدوداً عقلية تتصف بها عناصرها التابعة في معانيها والتي يُستشف منها إدراكاً إنسانياً تتحدد فيه قيمة هذه الفكرة أو تلك ، فما ضنك بتجربة روحية من نوع باطني عالي ,لا يتصف فيها إلا الُندر من النوع الإنسان الذين اختصهم الله برحمتهِ، وأطلعهم على معادن العزة والكرامة من غيبة، فمنهم من ترجمة بلسان المقال وآخرون كان ترجمانهم لسان الحال ، وآخرون تركوا الكلام اذ لا يمكن للألفاظ إن تحاكي المعاني فتجربتهم لا توصف بمقال أو حال إذ هي ابلغ من كلاهما فكان الصمت احجى لهم من الكلام .

لذا جاءت فكرة السعادة لتقض مضاجع الكثير من الباحثين مابين مؤالف ومخالف كما تقتضيها طباعها الأشياء, اذ من غير الممكن إن يتفق أصحاب الرؤى المادية في تطلعاتهم مع أصحاب التوجهات الروحية العالية في مبانيها ومعانيها لكن الحق أقول إن كلا المسارين يتفقان على ان مفهوم السعادة واحد لكن له مراتب تختلف بين الشدة والضعف.

البحث عبارة عن مقدمة وتمهيد وبحث واحد يحتوي على أربعة مطالب: المطلب الأول الحب لغة, آما المطلب الثاني الحب اصطلاحاً آما المطلب الثالث فتناولت فيه المحبة الإلهية عند السيد المسيح (ع ) وتضمن بعض الإشارات إلى المعاني الروحية عنده, آما المطلب الرابع فتناولت فيه الأبعاد الروحية للسعادة في الذوق الشعري عند العرفاء والصوفية.

أملا إن يكون منهلاً منه يغترف الباحثون ولا ادعي كمالاً بل عملت بقدر الاستطاعة مع قلة البضاعة ومن الله التوفيق .

## التمهيد- السعادة الروحية والمحبة الإلهية:

الحقيقة إن تمثل المعنى الواقعي لمفهوم السعادة* يختلف من شخص إلى آخر لذا تعددت وتكثرت المصاديق التي تنطبق على الإنسان السعيد وتوجهت ذات الإنسان وفق الرؤية التي يرى فيها صاحبها الأساس الواقعي لمفتاح سعادته, وبذلك يمكننا القول إن السعادة تكون مادية ومعنوية على مقتضى التوجه الذي علية الإنسان السعيد , إذاً يكون العامل الأساسي الذي يقاس علية شدة الإحساس بالمعنى الجميل الذي يجعلنا سعداء هو عامل نفسي ذاتي مادي كالمال والجاه وغيرهن وأخرى روحي باطني , فالأساس في مقتضيات التوجه لشيء دون آخر هو الميل النفسي . ليست السعادة إذن ناحية مادية ..وإنما هي حالة نفسية ..تتمثل في ضبط الرغبات .. حتى لا تخرج عن حدود الاستطاعة.[١] إن مفهوم السعادة من المفاهيم الأساسية التي ارتكزت عليها مفاهيم عديدة في مصاديقها ومن هذة المفاهيم التي أخذت بوجودين احدهما ظاهري والأخر باطني وايما كانا

هذين الوجودين فان كلاهما يتفقان على معنى واحد ألا وهو حصول الغبطة في الذات وان لكل واحد منهما تجلي خاص بحسبه فقد وردت نصوص تؤكد على إن السعادة الظاهرية تكمن في كبر الدار من السعادة ، وكثرة المحبين من السعادة ، وموافقة الزوجة كمال السرور[٢]

ويفهم من السعادة مجموعة مصاديق يمكن ان تحقق معنى الفرح وإدخال المعنى الذي يتحصل من خلاله الشيء المثير لعنصر البهجة الداعية إلى قيام السرور في قلب الإنسان السعيد كما قال الصادق ( عليه السلام ) : " ثلاثة من السعادة : الزوجة الموافقة ، والأولاد البارّون، والرجل يرزق معيشته ببلده يغدو إليه ويروح " .[٣] وعند ملاحظة قول الإمام الصادق عليه السلام نجد ان استخدامه (من) دلالة واضحة على التبعيض في مشارب اللغة العربية , وهذا يؤكد القول على إن تحصيل السعادة متعدد المذاقات بحسب التوجهات التي عليها الناس. وإذا ما حَددَ الإنسان رغباته بحيث تنسجم مع إمكانياته...وإذا اقتصر الإنسان فيما يرجو ويأمل ويريد ويشتهي على الحد الذي يستطيع آن يحققه ..عاش راضيَ النفس مطمئناً..او بتعبير أخر: عاش سعيداً[٤]

كذلك ان من السعادة سعة الدار وسعة المال إلى آخرة , وهنالك معنى آخر أشار إلية الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) بقولة : السعادة كلّ السعادة طول العمر في طاعة الله.[٥] فليست السعادة دوافع نفسية فقط دون القيام بالعمل الحقيقي والجاد نحو تحقيق السعادة التي من اجلها يواجه المصاعب والمتاعب كما جاء في الحكمة(سمو الهدف يقلل من شدة الألم).

لذا تتمثل السعادة الروحية في البعد الروحي الإسلامي بعمق البلوغ المعنوي لمراتب التكامل العالي الذي يتجلي في تيقظ النفس الإنسانية بعد سباتها الطويل في رقدة الغفلة التي تتمثل في تمنيها على وسادة الكسل , ويعد ذلك التيقظ العنصر الرئيسي في بدء مرحلة جديدة من السعي الحثيث نحو الغاية الأساسية التي بها يحصل الترقي إلى المعاني الروحية بعد آن يكشف الحجاب ويزيح الستار عن الدثار , وازاحة الغشاوة عن العين القلبية (البصيرة) التي بها يرى السائر الى الله معاني الغيب كما جاء بقوله تعالى(لَقد كُنتَ في غَفلةٍ مِن هَذَا فَكَشفنا عَنكَ غِطاءَكَ فَبصَرُكَ اليومَ حَديد) ق :٢٢

فقيمة كل شخص إنما تقاس بقدرته على النجاح الدائم ,ومحافظةِ على مكاسبهِ والوقوف على قدميه بعد كل هزيمة[٦].

إن كل نفس مهما كانت سمتها تتطلع في ذاتها إلى الكمال، وتسعى نحوه، وأن السعادة الإنسانية غاية كل نفس سواء أكانت كانت مؤمنة أم كافرة، فهو الضالة المنشودة لجميع البشر . نعم هذه غاية البشرية في ذاتها الأولى المودعة في فطرتها الأولى سوى أن الطرق التي تسلكها كل نفس متشعبة ومختلفة لا تلتقي على صعيد واحد. كما قال سبحانه : [وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ] {سورة الأعراف) . إلّا أن الأساس الروحي لنزول البركات الروحية هو التقوى التي لازمها اليقين والسعادة ,وخلافه يكون منشأ الشك والغواية وليس يتم الأثر الروحي إلا بعد مجاهدات ورياضات نفسية في غاية الدقة حتى تتحصل النتيجة المتوخاة التي هي الكمال اللائق ,فلذلك كانت السعادة دنيوية وأخروية أن السعادة في الأصل ضربان أخروية ودنيوية ، ثم الدنيوية ثلاثة أضرب :

نفسية . وبدنية ، وخارجية . كذلك الشقاوة على هذه الأضرب ، وهي الشقاوة الأخروية قال عز وجل " فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقى " سورة طه : ١٢٣ .[٧]

وقال " رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا " سورة المؤمنون : ١٠٦ وفي الدنيوية " فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقى " سورة طه : ١١٧ قال بعضهم : قد يوضع الشقاء موضع التعب ، نحو شقيت في كذا ، وكل شقاوة تعب وليس كل تعب شقاوة ، فالتعب أعم من الشقاوة[٨].

## المبحث الأول : الحب بين اللغة والأصطلاح:

### الحب في اللغة والاصطلاح :

### المطلب الأول : الحب : لغة :

الحُبُّ والمَحبّةُ: الوِدادُ. أَحَبهُ، وهو محبوب على غير قياس. ومُحبُّ: قليل. وحببته أحبهُ- بالكسر – شاذّ، حُبّا- بالضم وبالكسر – وأَحْبَبْتُهُ، والحبيبُ، والحِبُّ – بالكسر -: المَحْبوبُ، وهي مَحبُوبة. وجَمْعُ الحبّ أحبات وحِبّان. وحبتك – بالضم -: ما أَحْبَبتَ أن تُعْطاهُ. والحبيبُ: المُحبُّ. وحُبَّ بفلانٍ: أي ما أَحَبّه [٩].

(الحاء والباء أصول ثلاثة، أحدهما اللزوم والثبات، والآخر الحَبّه من الشيء ذي الحب، والثالث وصف الصر... واللزوم الحُبّ والمحبّة، اشتقاقه من أحبّه إذا لزمه. والمُحبّ: الذي يتحسر فيلزمُ مكانه [١٠].

### المطلب الثاني : الحب اصطلاحاً :

الحب نقيض البغض، وهو الوداد، والمحبة، والميل إلى الشيء السار، والغرض منهُ أرضاء الحاجات المادية أو الروحية، وهو مترتب على تخيل كمال في الشيء السار أو النافع يفضي إلى انجذاب الإرادة إليه، كمحبة العاشق لمعشوقه [١١].

وهذا الحب الجامع لمراتب التكامل في الأشياء سواء أكانت هذه المرغوبة تستحق التضحية وبذل ما في الوسع من اجل الحصول عليها وإغفاله للجميع باستثناء محبوبة ويتحمل الألم من أجل رضاه وهذا الرضا يتمل كعنصر بارز لقيام السعادة مهما كانت هذه النتيجة فهو لا يرى سوى سرور ذاته او مطلوبة تبعدهُ عما سوى معشوقة .وللحب معان متعددة تتجلى بمعنيين احدهما خاص والاخرعام والحب في معناه الخاص: عاطفة تجذب شخصاً من الجنس الآخر، فمصدرها الأول الميل والحب، في معناه العام، عاطفة يؤدي تنشيطها إلى نوع من أنواع اللذة مادية كانت أو معنوية، فعاطفة حب الذات ترمي إلى أرضاء الشهوات الشخصية سواء أكان موضوع الشهوة الطعام، أو الاستيلاء على المقتنيات، أو أثبات الذات.

والحب في نقائه هو حب الله في ذاته بلا خوف وبلا أمل؛ وهذا هو الحب الخالص أو المحبة الكاملة الذي يتمثل بنقائه من الرغبات والمطالب بل يكون خالياً من الشوائب الذاتية والفردية.

وساق باروخ سبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧م = ١٠٤١ – ١٠٨٨هـ) حباً أسمى من هذا أهو الحب العقلي لله بمعنى العلم به، الذي نستمده من علمنا الحق (الخالص) بالأشياء [(**)] .

وهذا (الحب الخالص)Pure amour يطلق على حب الله لذاته لا لمنفعةٍ، أو خوفٍ، أو املٍ، بل لمجرد ما يتصور في الحضرة الربانية من الجمال والكمال.

وكمال حب الله أن تحبه بكل قلبك، وأن تظهر نفسك من كل ما يشغلك عنه، وعلى قدر ما يكون حبك لله أقوى، تكون سعادتك أعظم [١٢]

وهذا المعنى يعطي صورة واضحة تدفع بالإنسان إلى المعرفة التي تمثل جانباً أعمق في المعرفة , فمعرفته تعالى تؤدي بالضرورة إلى أنفاق كل ما يملك من أجله كما قيل (والجود بالنفس أقصى غاية الجود) لشدة غلبة محبة الله على كل محبة.

((هي حالة تستولي على المحب، حتى لا يشهد إلا المطلوب، وهي أيضاً لذة، والحق لا يلتذ به، لأن مواضع الحقيقة دهش واستيفاء وحيرة، وقال في ذهاب النفس إذا ذكرت المحبة للمحب يغلب مشاهدة المحبوب على يسيره، بحيث لا يكون لهُ شعور بنفسه ومحبته )) [١٣]

إن أفكار المسيح قد قامت على دعائم إلهية وأصول ربانية في معانيها جواهر تحت التراب، قد صيغت في أفكار جاءت في الأسفار المسيحية التي ركزت القول في بناء الذات الإنسانية سواء أكانت مع بعضهم البعض أم مع الله تعالى طرحت هذه الأفكار في الأناجيل التي صاغها بعض القائمين على بيانها في كتابات مثلت حياة المسيح وأقواله وأفعاله وأبانت بعض تعاليمه التي أوردت المعنى الذي حاول عيسى (ع) أن يؤسس لهُ وهذا المعنى جاء ليرسم لوحة فنية تركز على المعاني الإلهية في حقائقها القدسية وهذا المعنى اوجد بعداً روحياً كان له اثر بالغ عند عرفاء ومتصوفة المسلمين في قيام بعض الدلائل والشواهد على الحب الإلهي الذي يمثل الجانب المهم في ملكوت الله الذي خطهُ بأنامل العمل الذي به تتكشف الحقائق.

لذا تظهر هذه المحبة جليةً واضحة في عدة أقوال، وبهذه المعاني تتكشف صورة بثلاث مراحل , قل بثلاث مراتب ودرجات :

١. المحبة الإلهية التي تدلل على توحيده والإخلاص لهُ بكل عقل وقلب ونفس.

٢. المحبة التي تأتي من خلال محبة من لكَ به قرابة وصله كمحبة النفس، وهذه المحبة تحمل جانب التفاني.

٣. أما النوع الثالث فيتعدى محبة القريب لتصل إلى محبة العدو، وهذا النوع يرتبط بمعنى يتحقق به أهل التوحيد الحقيقي المرتبط بنحو من جامعية الأسماء الإلهية على نحو خاص بقابلية الفرد الفاعل لهذا الحب، إذ المتعارف عليه عرفاً أن العدو غير مقبول من جهة الطباع الإنسانية كونها تقتضي عدم الإلفة معه، فضلاً عن ذلك فهي تنفره ولي في ذلك اصطلاح خاص استطيع تسميته (القلب الأحدي) الذي أشبهه بالأسماء الإلهية في مرتبة الذات التي تقتضي أن يكون الاسم وضده معه كما في الأسماء الإلهية (غفور وشديد العقاب)، و(باسط وقابض)، و(محيي ومميت)، و(معز ومذل)...الخ.

وهذه المعاني ربما يجمعها القلب الإنساني في ذاته إذا كان القلب أحدياً له أصل في جمع الأسماء الإلهية والتلطف بالعباد ، وأن كان الآخر (العدو) ينبغي أن يقتل أو يمكر بالشخص الودودالقلب (***) .

قيل: المحبة سرور القلب بمطالعة جمال المحبوب.

وقيل: المحبة محو المحب بصفاته وإثبات المحبوب لذاته.

وقيل: حقيقة المحبة أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب.

وقيل: المحبة نار في القلب تُحرق ما سوى المحبوب.

وقيل: المحبة أن تهب كليتك لمحبوبك فلا يبقى لك منه شيء.

وقيل: حقيقة المحبة ما لا يصلح إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب.

وقيل: المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلب تعجز العقول عن إدراكه وتمتنع الألسنة عن العبارة عنه.

وقيل: المحبة أغصان تُغرس في القلب فتثمر على قدر العقول [١٤] .

بعد أن توقفنا على عنصر المحبة في عالم اللغة ، نقف عند مفصل مهم من النصرانية وهو يعد الركيزة الأساسية في فهم المحبة عند يسوع (ع)، لكن الحب كما يراه النصارى لا يمكن أن تُعبر عنه اللغة كما ولا يعبر عن بتعريف وهذا الأمر يرجع إلى إقرارهم بأن هُنالك فضائل ثلاث تعد أعظم قوة في العالم إلا وهي الإيمان والرجاء والمحبة "وهي تتحدى التعريف لأن معناها الحقيقي لا يُعرف إلا في الاختبار الديني"[١٥].

ولو تتبعنا المصادر الكنسية لوجدنا أن هُنالك العديد من التعريفات التي سطرها أرباب الفن عندهم وهي تحمل عناصر الحب الوجداني الخاص والعام وعلى الرغم من ذلك أن التعريف بالحب ممكن ومقبول في بعض المطالب، لكن الذي أراه أن هُنالك حالات في الحب لا تترجمها الألفاظ والتعريفات بل تعرفها الأذواق إذ أن معناها يسجل ملابسة التشكلات اللفظية وهذا الأمر يدعو إلى القول أن الألفاظ وأن حكت عن بعض المعاني لكنها خرساء إزاء بعض المعاني الأخرى وهذا يستدعي أن التجربة التي يعايشها المحب لا تكون إلا ذاتية وخاصة لازمة لأحوال الذات ومطابقة لما عليه من عشق وحب يعتلج في صدره، ولربما أجاد الشاعر حينما قال :

**دعُوا مُقلتي تبكي لفقد حبيبها لتُطفي ببرد الدمع حر كرُوبها**
**ففي حل خيط الدمع للقلب راحةٌ فطوبى لنفس مُتعت بحبيبها**
**بمن لو رأتهُ القاطعات أكفها لما رضيت إلا بقطع قلوبها**

إذ السائحون في بحار, أمواج, العشق غائبون عن ذواتهم، متلاشون في أنفسهم، هائمون على وجوههم، ينظر إليهم الناس ويظنون أنهم مرضى، لكن جمال معشوقهم، جعل في عيونهم الغواش فهم خفافيش الليل لا ينظرون إلا إلى مطلوبهم ساهون عن غيره فهو كعبة مقصودهم وقبلة مطلوبهم كما قال مجنون ليلى:

**وما بي إشراك ولكن حبها كعود الشما اعياً الطبيب المداويا١٦**

وما هذه الأحوال إلا سقم يعيش فيه فتيان الحب وهذا المعنى يعود إلى الجانب الحسي فكيف إذا كان المحبوب خالق الوجود ومبدأه، لعمري هو أجل واشرف ولا نسبة بين حب الله وحب مخلوقاته بعضهم لبعض

إذ الأحوال تعتري المطلوب الحسي فما بالك بمن أحب الخالق. نعود إلى بدء وجدت مجموعة من التعريفات التي دونت في صحف أربابها أعطت تعريفاً وصفياً لمعنى الحب الذي تمثل بعدة أقوال مختلفة واحد معناها :

١. والمحبة: "سواء استخدمت عن الله أو الإنسان هي الرغبة الحارة المتلهفة لأجل خير المحبوب، والاهتمام برفاهيته، والمحبة لكلا الله والإنسان أساسية للديانة الحقيقية [١٧].

٢. المحبة: العطاء الباذل غير الأناني.

٣. المحبة: في الله جوهر، أي أنها أكمل الكمالات، والمحبة أعلى درجة ممكنة من درجات الكمال، اقتداء بالله الكمال المطلق، وتحقيقاً لما يشعر الإنسان الحر أنهُ لهُ وجد"[١٨] .

عند متابعة الجانب المعرفي في هذه التعاريف نجد أن هُنالك اختلافاً في كل واحد منهما مع ذلك الاختلاف نجد فيهما تواصلاً تاماً إذا ما جمعت في تعريف واحد ومعنى فارد. فعند النظر في التعريف الأول نجد أن هُنالك تركيزاً على الجانب الباطني والأحاسيس التي تعتري صاحبها أبان رؤياه لمقصودة وهي تجمع الطرفين الإلهي والإنساني لأنها تركز على ما يعيشه الإنسان من شعور "التعريف الأول يظهر المحبة على أنها أمر شعوري داخلي، وليس سلوكياً، وأن كانت وهي الدافع للسلوك العامل على إسعاد المحبوب ورفاهيته، إذ أنها تشمل كما يقول التعريف الاهتمام برفاهيته والرغبة في خيره مما يولد العمل لتحقيق ذلك" [١٩] .

فالتعريف الأول يمكن أن يفهم منه الجانب النظري، فيما يفهم من التعريف الثاني الجانب العملي، أما التعريف الثالث فنجده يجمع بين كليهما وهنا يفهم من المحبة أن لها أساسين :

١. الأساس ألاعتقادي في الطلب نحو المقصود على اعتباره يتوافق مع الجانب السلوكي تجاه الله وهذا يدفع نحو العمل، إذ الاعتقاد أساس العمل كما قال يسوع "من ثمارهم تعرفونهم" فيدفع الإنسان إلى البحث عن التكامل وهو أعلى درجات الطلب،وهي المحبة لذاتها دون النظر لمصلحة خاصة.

٢. إن هذا الجانب ألاعتقادي هو المحرك للفعل بالاتصاف والتشبه فالنقطة الأولى يمكن أن ينظر إليها ببعد نظري والثانية بالبعد العملي.

**المطلب الثالث : المسيح والمحبة الإلهية :**

يقول يسوع المسيح (ع) بعد أن أفحم الصدقيون، وأخذت الفريسيون العزة بالأثم، اجتمعوا إليه وسأله أحدهم وهو من علماء الشريعة محاولاً في سؤاله أن يستدرجه قائلاً: "يا معلم، ما هي الوصية العظمى في الشريعة؟، "فأجابه: "أحب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل فكرك، هذه هي الوصية العُظمى الأولى" .[٢٠]

وفي لوقا ورد بصورة أكثر عمقاً من الجواب الأول في متى إذ يقول لوقا أن أحد علماء الشريعة تصدى ليجرب يسوع، فقال: ((يا معلم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية)) فقال له: ((ماذا أكتب في الشريعة؟ وكيف تقرأها؟)) فأجاب: ((أحب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل قدرتك وكل فكرك)) *** .[٢١]

عند إمعان النظر في هذه الأقوال في الأناجيل والتي صيغت بعبارات مختلفة فمرة الوصية العظمى في الشريعة، وأخرى ماذا أعمل كي أرث الحياة الأبدية ... الخ، هذه الوصايا التي حاول السائل أن يكتشفها في قلب

يسوع، والذي أعطى الجواب الشافي لكل قلب، على اعتبار إن الإنسان مركب من عنصرين مادي وروحي، فالجانب المادي متعلق بالماديات، أما الروح فهي العنصر الفاعل في حركة البدن وبها يتأثر وينفعل فوجه القول بحب الله تعالى يكون بالعنصر المتجرد عن العلائق المادية بل وحتى العناصر الروحية الكل ما سوى الله، وهذا الحب مشروط بالإخلاص والوفاء، إذ لابد من كمال لائق متوفر في الطالب حتى يستطيع أن يحب الله تعالى، إذ أن المحبة الإلهية (وهب) من الله لبعض القلوب، فهذا الباب لا يفتح إلا لفتيان الإرادة والحقيقة إذ أن الله جوهرة فريدة لا تكشف لكل أحد، وهذا الكشف من الحب على حسب مرتبته وقابليته (إذ العنقاء لا يصداها أحد) فإن الممكن المحجوب لا يدرك اللامتناهي، فهذا محال ولا يخطر على البال أن تلك الياقوتة الحمراء، والدرة الخضراء، مجلى الأرض والسماء، تكون محلاً لنيل الفقراء الضعفاء، كما جاء في قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ] سورة فاطر(١٥)

إذ كما قلنا إن لكل إنسان قابلية وقدرة على حسب طاقته في هذه الدنيا, فهذه الدنيا عبارة عن مسرح، يمثل كل إنسان عليها دوره، ((الإنسان هو برنامج كامل وشامل يحققه كل فرد على مستواه الشخصي بحسب إمكاناته المحدودة، وفي إطار حياته المحدودة أيضاً، ففي داخل كل فرد برنامج كامل (للإنسان) وفي حدود حياته الماضية قد حقق منهُ جزءاً، وسيكمل تحقيقه حتى الموت، وهذا الجزء هو نصيبه في تحقيق البرنامج)) [٢٢]

فمحبة الله على قول المسيح(ع)، يجب أن تكون من كل عقلك ونفسك وقلبك وقدرتك وعلى مستوى الذوق العالي في رياضة النفس وتجريدها من العوائق الموصلة إلى عكس النتائج المتوخاة . ولي في هذا القول الوارد بلسان المسيح تفصيل لمجمله، فلنأخذ الجانب النفسي أولاً ثم العقلي، ومن بعده القلبي. إن مباشرة القيام بالحب الإلهي يجب أن تكون من خلال تطهير الذات أولاً وبالذات وهذا المنشأ إنما يتم من خلال مخالفة النفس فبداية كل عمل مخالفة الهوى والنفس، إذ النفس ترغب بالفانيات الزائلات، وهذا الأمر يكون من خلال الألف لعالم الماديات المتكثرة فيحصل عند النفس ميلاً تجاه كل مادي محسوس فيستلزم ذلك من المرتاض أو يوقع النفس في شراك العقل حتى لا تستطيع أن تسيطر على الإنسان فتجره نحو الأسفل كما في المنطاد الذي إذا أثقل بالأكياس الثقيلة، لا يستطيع أن يصعد إلى الأعلى، بل تراه يخلد إلى الأرض ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ))التوبة(٣٨)، وهذا إنما يكون منشأه التعلق فقطع العلائق يؤدي إلى الارتفاع نحو الأعلى والصعود بلا عود ويتم التطهيرعن طريق الرصد التام لعالم النفس الإمارة ونهيها حتى تصبح مطمئنة ومن ثم راضية مرضية بعد اتمام التخلية والتحلية والتجلية وكذلك اتمام مايعرف بالمحاسبة والمعاتبة والمراقبة ,فيكون الحب في النفس من خلال تجريدها من كل العلائق وإذا تجردت النفس وأحبت الله بكليتهما، ننقل القول إلى العالم العقلي، فإن النفس تنجى اذا أطاعت العقل فيما يخطط لها من صلاح إذ أن المعركة دائرة بين العقل والنفس على مملكة البدن حتى يستسلم أحدهما للآخر، فإذا استطاعت النفس السيطرة على العقل، وصل الإنسان إلى أعلى مراتب التسافل، أما إذا كان العكس وصلت النفس إلى أعلى مراتب الدرجات.

وبسيطرة العقل يحدث هُنالك توجهاً إلى الله من خلال التأمل والذكر الدائم لجمال وجلال الله حتى ينخلع عن كل محبة زائلة إلى محبة الله الدائمة القائمة، وبعد ذلك إذا تجرد العقل والنفس يحدث تطهير في القلب، إذ القلب يتأثر بما تجنيه النفس، كما جاء ((كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))المطففين١٤، فيحصل النقاء والصفاء في القلب الذي يرتل آيات الحب العاطفية التي تمجد الرب، ومن ثم قال عيسى تحبه بكل قدرتك، وهنا يأتي القول على محدودية الحب الإنساني تجاه محبوبة ومطلوبة، كما جاء ((أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا))الرعد١٧.

((فمع أن الله محبوب للغاية، فلا نستطيع البتة أن تحبه وحتى في السماء إلا محبة محدودة، لأن قلبنا محدود متناه، وعلى هذا الأساس لا يسعنا أن نحب الله بقدر ماهو أهل للحب. لكننا نستطيع أن نجتهد دائماً في محبته أكثر فأكثر وبحسب قول القديس برنردس: "إن قياس محبة الله أن نحبه بلا قياس، لكن علينا أن نتذكر إن المحبة الحقيقية تقوم على أفعال الإرادة أكثر من قيامها وعلى التقوى، فأفضل وسيلة لمحبة الله هي مطابقة إرادتنا على إرادته")) [٢٣].

وبذلك يستلزم هذا الأمر أن تكون مشيئته هي الغالبة على ذاتك فتقدم ما يريد الله على ما تريد أنت، إذ لكل إنما مصدره هو وليس له في ما لا ترغب فيه من الأمور إلا حكمة بالغة حتى يحصل التسليم المطلق وتكون الإرادة واحدة كما يقول الحلاج:

**نسمات الريح قولي للرشا لم يزدني الذكر إلا عطشا لي حبيب حبه وسط الحشا**
**إن يشأ يمشي على الخد مشا روحه روحي وروحي روحه إن يشأ شئت وإن شئت يشأ** [٢٤]

(فيتعلم عظم قدر الله سبحانه ويتعلم أسماءه الحسنى وصفاته العلى فيدعوه ويتعبد إليه بها ويتعلم نعم الله عليه، فيزداد إليه فقراً ويزداد لهُ حباً حتى لا تبقى ذكره من ذرات الحب إلا وقد توجهت إلى الله، حتى لا تبقى في قلب المؤمن درة يحب بها سواه) [٢٥]. عند الكشف عن المحبة في التفكير الروحي للسيد المسيح نجد أنها تنطلق من الأصل الذي قامت عليه هذه الفكرة وهذا الأصل هو (الله) مظهر الأشياء ومبدع كل موجود وكل ما في الوجود فقير مفتقر إليه كما جاء في إنجيل يوحنا نقلاً عن لسان المسيح (ع) الذي عطف جميع ما في هذه البسيطة إلى مرجع واحد به تكتمل لغة الوجود إذ قال ((الله محبة, ومن يثبت في المحبة يثبت في الله . الله فيه)) **** [٢٦].

وفهم هذا المعنى يستوقفنا للقول إن المحبة رباط روحي في السائر إلى الله إذ الحركة كما يقال دليل الشوق, والشوق إنما يحصل من المعرفة, فمدى معرفة الطالب الراغب تدعوا محبوبه إلى التمسك به ,وبذل الغالي والنفيس من أجله . لذا فإن الله في فهم السيد المسيح محبة إذ لا بغض في ساحته ولا كره فمصدر الحب إنما هو رب الحب الذي وهبه لكي لا تحصل الكراهية الباعثة إلى التناحر هذا حسب المعنى الظاهري أما بحسب المعنى الباطني فالحب إنما يكون لله لغرض الحب إنما جعل حب الله لأنه منبع الافاضات الرحمانية اذ أن العبد يعيش في حالة الإنس والميعة في ذات الله التي تقتضي بطبيعة الحال أن يعيش السائر غائباً عن الوجود ذاهلاً عن الموجود سوى الله, أي أن يقدس السائر الرب بكل أصناف التمجيد والتعظيم ويتخلق بمن يحب . كما

يُعلق على هذه العبارة السالفة أوغسطين بالقول ((ليكن الله لك بيتاً, وكن أنت بيت الله, وأثبت في الله يثبت الله فيك)) .[٢٧]

والجلي أن سر هذه المحبة إنما تكون بتسديد إلهي وفتح رباني, فالمحبة الإلهية إنما فاضت على قلوب الباحثين الآملين في عشق الذات الأحذية إذ الحب الموجود في هذه الموجودات جاء من عمل , بل عطف الذات الإلهية المحبة على ألواح القلوب لترشفها هذه الأرواح بنفس روحاني فيه الأرواح بل (ان القطرة هي البحر) وهذا ما عبر عنه الحسين بن منصور الحلاج بالقول .

**أنت المولـه لي لا الذكر ولـهني - حاشا لقلبي أن يعلق به ذكري**

**الذكر واسطة تحجبك عن نظري - إذا توشّحه من خاطري فكري** [٢٨]

فمعنى التعلق بالله مشروط بتعريف الرب سبحانه للعبد وإلا في حقيقة الأمر فالعبد قاصر عن إدراك ظواهر الأشياء فضلاً عن البلوغ إلى بواطنها التي هي من المخفيات غير المعلنات التي لا تكون إلا بتعريف الله للعبد وهذا المنشأ إنما يكون بإحاطة إلهية ترتفع به من عالم الملابسات المادية إلى عوالم الغيب وترغم أنف الطالبين بالذوبان في حضرة القدس والكرم التي تشق صم جلاميد الصخور الراسيات في قلب العبد وتحولها إلى محفل للأنس والنغم الباطني بعد أن تتجلى له في مظاهر الجمال والجلال حتى تفتح له أبواب التعلق والغياب عن الذات بعد أن يلاطفه الرب بعزيز تعزيز اعتزاز عزته ليكشف عنه حجب الظلام بحول طول شديد قوته ليجعله محلاً لحبه ومحبته بقدرة مقدار اقتدار قدرته بعد أن رأى حنين, أنين تسكين المريدين وتخضع تخشع تقطع مرارات الصابرين ليكافئهم على كل هذا بفتح عظيم تشرق فيه شمس الأزل على هياكل التوحيد أثاره حتى يرى الناظر إلى أحوال هؤلاء المجذوبين به المغرمين بساحته الواصلين إلى كمالهم بلطفه ومنشئه (مجانين) كما جاء في كلام جميل لجبل التوحيد الأشم علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه ) في خطبة المتقين ما يوائم ويلائم هذا المعنى بقوله

((ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى, ويقول لقد خولطوا, وما بالقوم من مرض ولكن خالطهم آمراً عظيم)).(*****)

لكن يقع الأمر بفتح رباني تسعد فيه العوالم الباطنية للإنسان على شرط ثبات الطالب على محبة المحبوب ((أحبك يارب بضمير ثابت لا لوم عليه . لقد فتحت قلبي بكلمتك فأجبتك . أن كل ما حولي, السماوات والأرض وكل ما فيها يدعو لي إلى محبتك ولا تفتأ تقوله لكل الناس((لئلا يكون لهم عذرا)) ستزداد رأفتك لمن ترأفت عليه ورحمتك لمن رحمته وإلا فالسماوات والأرض تردد تسابيحك أمام جماعة من الصم)) .[٢٩]

والمراد من المعنى أن كل ما في عالم الوجود خاضع بكليته لمحبة الله تعالى بل كل ما فيه يدعوا إلى التوجه إلى قبله الوجود وكعبة المقصود ولا بد أن تكون هذه النسمات باعثة على التوجه التام إلى الحق سبحانه الذي أفاض كل ما هو جميل وحسن فكل ما صدر من حضرة الله (جل جلاله) إنما هو في غاية الكمال لا نقص فيه ولا شبهة تعتريه مما أعطى ذوات الموجود التوجه إليه وعشق ما صدر عنه حتى لقد قيل ((أن حركة الموجودات إلى الله حركة شوقيه)). وهذه المحبة عبر عنها يوحنا في إحدى رسائله بقوله ((أيها الأحبة, لنحب

بعضنا بعضاً, لأن المحبة تصدر من الله. إذن كل من يحب يكون مولوداً من الله ويعرف الله أمام من لا يحب, فهو لم يتعرف بالله قط لأن الله محبة, وقد أظهر الله محبته لنا)) .[٣٠]

أما بالنسبة إلى المعنى الثاني الذي أشار إليه عيسى بن مريم فهو محبة القريب والإيثار بالجانب النفسي للآخرين كما يحب الإنسان ان يعامل ويعطى ما يحب, فكذلك جاء المسيح بالعديد من الأقوال التي وردت في الإنجيل والتي ركزت على هذا المعنى كأساس للرقي الروحي والأخلاقي(محبة القريب أو الجار كمحبة النفس, والقريب هنا هو المؤمن في ذلك الزمان؛ إذ أن رسالة موسى ورسالة عيسى عليهما السلام كانتا خاصة ببني إسرائيل فاتفقت فيهما القرابة في الديانة, وليس في هذه الدرجة نفي لمحبة غير القريب, ولكنها تدل على وجوب محبته محبة خاصة, ولزوم تلك المحبة للإيمان, وهاتان الدرجتان وردتا عند متى ومرقص مع تأكيد مرقص على علاقة هذه الوصية بوحدانية الله تعالى بينما أغفل متى ذكر ذلك ) [٣١] .

بعد أن أعطى ذكر يسوع محبة الله, أعطى معناً آخر إلا وهو محبة القريب في قوله: ((أحب قريبك كنفسك)) . [٣٢]

ومحبة الله والقريب بل وحتى العدو, إنما تكون لأجل الله تعالى, لا لأجل إرضاء رغبات الذات في الظهور وحب الأنانية والغاية أشياع النزوات النفسية الغير محمودة, بل يجب أن تكون خالصة لوجه الله تعالى ((بما أن جوهر الكمال يقوم في محبة الله, فينتج: أن الطريق مختصرة للوصول إليه, وهي أن نحب كثيراً ونحب بسخاء واندفاع وخصوصاً حباً نقياً خالياً من الغرض والحال لسنا بتلاوتنا قفل المحبة فقط نحب الله, بل كل مرّة أيضاً نعمل إرادة الله)) .[٣٣]

أما بالنسبة للمعنى الثالث الذي أورده يسوع (ع) قد يتجاوز فيه حدود محبة القريب إلى معنى لربما هو صعب على الأذهان قبوله إلا وهو محبة الأعداء, والعطف عليهم والتسامح معهم, وعدم أخذهم بجرائرهم بل مقابلة أفعالهم الشائنة بالإحسان . كما ورد في قوله((وأمّا لكم أيها السامعون فأقول: أحبوا أعداءكم, أحسنوا معاملة الذين يبغضونكم؛ باركوا لأعينكم؛ صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم, ومن ضربك على خدّك, فاعرض له الخد الآخر أيضاً. ومن انتزع رِداءك, فلا تمنع عنه ثوبك أيضاً, أي من طلب منك شيئاً, فأعطه, ومن اغتصب مالك, فلا تُطالبه)) .[٣٤]

وعند ملاحظة هذه النقاط الثلاث في المحبة والتي أراد بها تقويم الفضائل بين أبناء المجتمع وقوام نجاحها من خلال تطبيقها وحفظ الشريعة , إذ أن محبة النبي لا تأتي إلا من خلال الإقرار بمحبة من أرسله الله, وهذه المحبة إنما تنتج كما قلنا سابقاً من خلال المعرفة التي بها تتكامل أوامر المحبة وروابط الاتصال في الشق كما هو وارد في النصوص التي جاء بها يوحنا بقوله((إن كنتم تحبونني, فاعملوا بوصاياي)) .[٣٥]

وهناك نتائج وثمرة إزاء القيام بتلك المحبة من قبل الفرد ((من كانت عنده وصاياي, ويعمل بها, فذاك يحبني. والذي يحبني, يحبه أبي, وأنا أحبه وأعلن له عن ذاتي)) [٣٦], كما وأن هذه المحبة لها مجموعة خصائص تميزها وتستوقفنا للنظر فيها, إذ هي ملاطفة بين نوعين في المحبة مع النوع الثالث الذي هو محبة الأعداء, لكن

المهم هو النوع الأول والثاني إذ به تتحقق المحبة لا لإرضاء الذات, بل لإيثار الله على الذات وهذه تقتضي: ((إماتة الأنانية وملذة الحواس الجسد به, والكبرياء... هكذا تفترض التضحية كشرط جوهري لأنه يدون التضحية الفعالة يستحيل حب الله على الأرض. أما في السماء فأننا نحب دون افتقار إلى التضحية. فالتضحية ضرورية لمحاربة أميال الطبيعة الفاسدة الكامنة في الإنسان المتجدد ولإذلالها)) .[٣٧]

**المطلب الرابع- المحبة الإلهية ومفهوم السعادة في الشعر الروحي**

يتضمن الأدب الصوفي النثر والشعر إبعاداً كبيرة وجميلة منها التعليمية ومضامين غزلية ورمزية وتمثيلية ، يشم منها أحياناً رائحة أدب غير صوفي حيث نجد أنها تعابير غزلية وألفاظاً عادةً ما تستخدم في الغزل الرمزي ، وذلك ناشئ من كون لغة الصوفي لغة مركبة يصعب إدراكها بصورة مباشرة إذ إن عقائدهم وتعاليمهم محاطة بالغموض من عدم البساطة كي لا تطالها يد العوام وهو ما يسمونه بعلم الإشارة أو علم الرموز ، إما بالنسبة الى الأدب التعليمي فهو مستمد من إشارات القرآن والحديث النبوي الشريف يرمز بها إلى معاني تأويله .

إما الألفاظ الغزلية في الشعر الغنائي والأناشيد الصوفية فهي تعبيرات عن وجد صوفي حاضر في جلسات خاصة وتواشيح تمجد الرب وتعظم جلالة قدره وعظم شأنه ، إذ إن ذات الصوفي مستسلمه إلى الله بمحبة مضطربة ، ينسى الصوفي فيها ذاته حتى لا يعود بتفكيره إلى غير الذي استسلم له ، وعندئذ يستولى سلطان الحب الإلهي على النفس ، فيبقى الصوفي في غبطه حقيقية لا يمكن ان يعرف طعم حلاوتها إلا من ذاق شهد تلك اللذة ، كما قال عيسى المسيح (ع) ( من وجد حياته يضيعها ومن أضاع حياته من اجلي يجدها ) ******.، إذ إن الذي يعشق الحقيقة يرى لا محالة إن كل ما خلى الحق فانٍ ( زائل ) في حضرت قدس الجمع ، اذ لا مؤنس سوى الله ولا حبيب إلا الله ولا غاية إلا الله ، فلذا إن النور الأزلي لما يشرق على هياكل التوحيد تنطمس الآثار ولا يبقى في الدار إلا الديار ، لذا إن الإلهام الصوفي يتعلق بعالم الأنوار الإلهي عالم الغيب المجهول الذي لا تتم معرفته إلا إلهاماً اي عن طريق ( التلقي ) من علو تمثله الصفات الإلهية وتجلياتها واشراقاتها وبما يزود الصوفي بمعرفة أسرار الكينونة والوجود[٣٧] ، لذا كانت حالاتهم النفسية في الذوق الصوفي اتجاها معبرا عن مدى السعادة في تذوق المعنى الروحاني الذي كانت تعبيراتهم الغزلية تحاكي ذلك المعنى بألفاظ رقيقة ومعاني دقيقة لذا استخدم المتصوفة التعبير عن تلك المعرفة الفاظاً أخرى إلى جانب (الإلهام ) منها (الإشراق و الشهود والتجلي والمكاشفة) وهي من المترادفات التي تعبر عن معنى مشترك وهو العرفان الصوفي في تمثلاته الغزلية .[٣٨]

إذن إن المقدمات الشوقية والترنيمات العشقية كانت فاتحة لحضور الأنوار في حضرة القدس وشربة من خمر المعارف الأزلية بعد الرجوع الى عالم الحقيقة لذا قال ( إليه رجعى الطاهرات من نفوسنا ) [٣٩] وهوالفناء الذي عبر عنه بقوله هو (( سقوط ملاحظة النفس للذاتها من شدة استغراقها في ملاحظة ذات ما يلتذ به وإذا سقط شعورها بما سوى محبوبها))[٤٠]

وقال أيضا :

**ولما وردنا ماء مدين نستسقي على ظمئ منا إلى منهل النجوى**
**نزلنا على حي كرام بيوتهم مقدسة لا هند فيها ولا علوى**
**ولاحت لنا نارعلى البعد أضرمت وجدنا عليها من نحب ومن نهوى** [٤١]

إذ إن العاشقين لما تكلفوا هم الهوى وهمومه صار هو الماسك لهم في كل شيء , لنجد إن العارف لا يمكن له الوصول الى حضرة القدس الأعظم إلا باعتلال هواه واضطراب جوانحه وغيابه عن ذاته حتى انه لقد قال ابو القاسم عبد الرحمن اللجاني (ت ٥٩٩هـ)(( العارف يرى الله بالله مع وجود فقد من سوى الله ولا يجد وصولاً إلى الله إلا بترك نفسه في الذهاب الى الله سبحانه)) [٤٢]

**إليك إشاراتي, وأنت الذي أهوى وأنت حديثي بين أهل الهوى يروى**
**وأنت مراد العاشقون بأسرهم فطوبى لقلب ذاب فيك من البلوى**
**محبوك تاهوا في الهوى وتولهوا وكل امرئ يصبو لنحو الذي يهوى ٤٣**

وأجاد الحلاج عندما قال:

**أنت المولـه لي لا الذكر ولّهني حاشا لقلبي إن يعلق به ذكري الذكر واسطة**
**تخفيك عن نظري إذا توشحة من خاطري فكري ٤٤**

وللمحبة أطوار وأذكار واثأر ومعاني وإخبار تتجلى فيها مضامين العشق والغبطة والسعادة التي يشم فيها رائحة الطرب الروحي

**نسمات الريح قولي للرشا لم يزدني الورد إلا عطشا**
**لي حبيبٌ حبهُ وسط الحشا ان يشا يمشي على الخد مشا**
**روحهُ روحي وروحي روحهُ ان يشا شئت وان شئت يشاه ٤**

هكذا هو ذكر المحبوب عند الصوفيه لم يزدهم إلا عطشاً لان الذات القدسية تجل من إن تدرك فذكر الذاكر بالأوراد والأذكار لا يزيده إلا عطشاً كماء البحر كلما اغترف الساقي ما ازداد إلا عطشا .

وأنّ ضبط العمر في تحصيل السعادة لا يتمّ إلا بمراعاة النفس كلّ يوم ومحاسبتها ، ثُمّ مراقبتها ثمّ معاقبتها على تقدير التقصير أو الفتور ، كما هو اللازم مع معاملي الدنيا ، القليل خطرها ، التي لا يضرّ زوال ما زال منها ، ولا فوات ما فات منها .

فكما أنّ التاجر يستعين بشريكه فيسلّم إليه المال حتّى يتّجر ، ثمّ يحاسبه ويراقبه ويعاقبه إنْ قصّر ، ويعاتبه إنْ غُبن؛ فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة ، ومطلبه وربحه تزكية النفس بتخلّيها عن الخصال الذميمة، وتحلّيها بالخلال الحميدة ، فبذلك فلاحها ؛ قال الله تعالى * ( قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها وقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها )* « ١ » .

والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة ، ويستعملها فيما يزكّيها ، كما يستعين التاجر بشريكه ، وغلامه الذي يتّجر في ماله .[٤٦]

وكما أنّ الشريك يصير خصماً منازعاً يجاذبه « ٢ » في الربح فيحتاج إلى أنْ يشارطه أوّلاً ، ويراقبه ثانياً ، ويحاسبه ثالثاً ، ويعاتبه أو يعاقبه رابعاً ؛ فكذلك العقل يحتاج إلى مشارطة النفس أوّلاً فيوظَّف عليها الوظائف ، ويشرط عليها الشروط ، ويرشدها إلى طريق الفلاح ؛ ثمّ لا يغفل عن مراقبتها ، فإنّه من غفل عن مراقبتها لم ير [ منها ] إلا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن إذا انفرد بالمال ؛ ثمّ بعد الفراغ ينبغي أنْ يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها ؛ فإنّ هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى ، وبلوغ سدرة المنتهي مع الأنبياء والشهداء ، وخسارتها والعياذ بالله عذاب جهنّم مع الفراعنة والأشقياء ؛ إذ ليس في تلك الدار إلا الجنّة والنار ، والجنّة أُعدّت للمتّقين كما أنّ النار أُعدّت للمقصّرين . [٤٧]

## الخاتمة:

١-الحقيقة إن مفهوم السعادة عام وشامل يقترن بحياة الإنسان بصورة مباشرة ويتمثل بعدة معاني مادية وأخرى روحية.

٢- تتحصل السعادة بالعمل الجاد والمستمر من اجل بلوغ المعاني التي يسعى الطالب في الحصول عليها.

٣- تمثل السعادة الروحية العنصر الحقيقي في حياة السائر إلى الله تعالى مجدة فغاية الإنسان السعيد هي طلب رضا الخالق.

٤- عبر السيد المسيح ع عن معنى الحب المادي والروحي وهو اس السعادة ومفتاح وجودها.

٥- إن الحب الإلهي له وجود روحي تمثل في أبيات الطرب الروحي للإنسان السعيد الذي غاية مسيرة الوصول إلى الكمال في المعرفة

**الهوامش** :

(*)قال الراغب في مفرداته : الشقاوة خلاف السعادة ، وقد شقي يشقي شقوة ، وكما أن السعادة في الأصل ضربان أخروية ودنيوية ، ثم الدنيوية ثلاثة أضرب :
نفسية . وبدنية ، وخارجية . كذلك الشقاوة على هذه الأضرب ، وهي الشقاوة الأخروية قال عز وجل " فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقى " ( ٢ ) وقال " رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا " ( ٣ ) وفي الدنيوية " فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقى " ( ٤ ) قال بعضهم : قد يوضع الشقاء موضع التعب ، نحو شقيت في كذا ، وكل شقاوة تعب وليس كل تعب شقاوة ، فالتعب أعم من الشقاوة.ينضر
المجلسي,محمد ت١١١١ ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار,ج٣تحقيق : السيد مهدي الرجائي
, مطبعة الخيام - قم١٤٠٦ص ٦١٠

(١)عبد الفتاح ,سيد صادق ,السعادة كما يراها المفكرون, موسسة عز الدين ,بيروت لبنان ص١٠.

(٢)القمي علي ابن بابويه ,ت٣٢٩ , فقه الرضا ,تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ط١- قم المشرفة سنة الطبع : شوال ١٤٠٦ص٣٥٤.

(٣) الفيض الكاشاني,محسن,ت١٠٩١, الوافي,ج١٧ ,تحقيق : مركز التحقيقات الدينية والعلمية في مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي (ع)الطبعة : الأولى المطبعة : طباعة أفست نشاط أصفهان ,سنة الطبع : شهر شوال ١٤١٢ هـ . ق ، ص٤٢٢.

)عبد الفتاح, سيد صادق,السعادة كما يراها المفكرون,ص٤١٠(

(٥)الفاضل الهندي ,كشف اللثام, ت١١٣٧,ج١١,ط١,تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي
النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ١٤٢٤ ص٣٤٥.

(٦)كامل, وجدي, سر السعادة, ط١,دار الأمين ,مصر,١٩٩٥,ص٨.

(٧) المجلسي ,محمد,ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار,ج٣,تحقيق : السيد مهدي الرجائي, مطبعة الخيام - قم١٤٠٦ ص٦١١.

(٨)نفس المصدر

(٩) الزاوي، الطاهر، أحمد، مُختار القاموس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ص١٢٥.

(١٠) القزويني، أحمد بن فارس، (ت٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، ج٢، ص٢٦.

(١١) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ط١، ذوي القربى، إيران، ١٣٨٥، ص٤٣٩-٤٤٠.

(*) مقولة سبينوزا عن الخير الأسمى الذي اذا تم تتحقق سعادتنا ونجاتنا وخلاصنا وحريتنا، وهو حب أساسية المعرفة العيانية بالله، وطالما الإنسان يعقل الله، والله أبدي، فحب الإنسان لله عقلي وأبدي. ينظر: الحفني، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٢٧٥.

(١٢) صليبا، جميل، المعجم الفسلفي، ص٤٤١.

(١٣) الحلاج، الحسني بن منصور، (ت ٣٠٩ )، الديوان ،جمعهُ وصححهُ: قاسم محمد عباس، ط٢، دار الريس، ٢٠٠٢، ص٢٤٤.

(**) هنالك العديد من الشواهد على ذلك في الإسلام كما عن (أبي عبد الله الحسين (ع) في لحظة من لحظات الصراع في كربلاء رأته أخته زينب (ع) يبكي فقالت له : مالك تبكي؟ فأجابها: أبكي لهؤلاء القوم يدخلون النار بسببي)، وهذا القلب الرؤم الذي حتى على ما جاءوا لقتله يحمله الحب للبكاء عليهم، لما لهُ من المعرفة في أن حياتهم يجب أن تكون أرفع وأسمى من ما هم فيه، فهذه الدنيا دار اختبار وامتحان تنتقل بأهلها من حالٍ إلى حال.

(١٤) الأنصاري، عبد الرحمن، مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب، تحقيق: هـ. ريتر، دار صادر، بيروت، ص٢١.

(١٥) فايز، فارس، علم الأخلاق المسيحية، دار الثقافة، ب. ت، ، ص٦٧.

(١٦)السراج,جعفر,مصارع العشاق,ج ٢,دارصادر,بيروت,١٩٥٨,ص١٧٢.

(١٧) الشبيبي، كامل مصطفى، (ت٢٠٠٦)، الحب العذري، ط٢، دار المناهل، بيروت، ١٩٩٧م ، ص٩٩-١٠٠. ينظر: إبراهيم، عبد المجيد، قصص العشاق النثرية في العصر الأموي، القاهرة، ١٩٧٢، ص٣٣٢.

(١٨) فيربروج، فرلين، القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ص٢٨٥.

(١٩) مجموعة من الباحثين، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص٢٧٢٢.

(٢٠) صفة المحبة الإلهية في النصرانية، رسالة ماجستير، إشراف: د. لصف الله عبد العظيم للعام الدراسي ١٤٢٩- ١٤٣٠م ، ص٣٧.

(٢١) متى ٢٢ : ٣٤ – ٤٠.

(٢٢) لوقا ١٠١ : ٢٥- ٢٨.

(***) ورد في أنجيل مرقص إفاضات أكثر عند هذا السؤال "إي ليسأله أحد الكتبة "اية وصية هي أولى الوصايا جميعاً" فأجابه يسوع: "أولى الوصايا جميعاً هي: "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد – فأجب الرب إلهم بكل قلبك وبكل نفسك وبكل فكرك وبكل قوتك هذه هي الوصية الأولى... فقال له الكاتب "صحيح يا مُعلم أحسب الحق تكلمت، فإن الله واحد وليس آخر سواه. ومحبته بكل القلب وبكل الفهم وبكل القوة، فلما رأى يسوع أنه أجاب بحكمة. قال له لست بعيداً عن ملكوت الله"، ينظر: أنجيل مرقص (١٢: ٢٨ - ٣٤). وفي هذه الآيات دلائل ظاهرات وبراهين ساطعات على وحدانية الله لا ثلاثية كما هو وارد في قوله (الرب إلهنا رب واحد) وليتهم ينتبهون مما هم فيه من شرك وظلال.

(٢٣) اليسوعي، هنري بولاد، أبعاد الحب، ترجمة: ممدوح صدقي، ط١، دار المشرق، بيروت، ص١٨٦.

(٢٤) منصور، يعقوب إفرام، الموجز في التصوف المسيحي والزهدي، وبعض أبرز أعلامه، ط١، مطبعة الديوان، بغداد، ٢٠٠٧، ص٣١.

(٢٥) الحلاج ,الحسين ,الديوان,ص٦١.

(٢٦) المدني، محمد إبراهيم، الحب في الله، دار الإيمان، الاسكندرية، ص١٠، وللمزيد يراجع جار الله، مها يوسف، الحب والبغض في القرآن الكريم، د. محمد نوح، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الكويت، نوقشت في ١٩٩٩/٣/٧، ينظر: الأقرع، عبد بن أحمد، الحب في الله ثمراته وأسبابه، قدم له ابو بكر الجزائري، ط١، دار ابن رجب، ٢٠٠٥، مجموعة من الباحثين، الحب في الله والبغض في الله ط١ن ١٩٩٤ن ينظر: حمود، خضر موسى، الحب والكراهية في كتاب الله وسنة نبيه، ط١، عالم الكتاب، بيروت، ٢٠٠٤. الحميد، عبد الكريم بن صالح، الحب في الله، ط١، دار النفيس، الرياض، ١٩٩٢م.

(٢٧)يوحنا: ٤١: ١٦ .

[*]***** إن هذا النص هو اخطر النصوص التي أوردها يوحنا, ولها من الأهمية الكبيرة في العقيدة المسيحية, حيث يرى أن في هذا النص إعلان عن الطبيعة الإلهية لذات وتوضيح لأهم جوانبها, إذ دلّ يوحنا على اتصاف الله بصفة المحبة وليس ذلك فقط, بل تعداه إلى جعل الذات الإلهية تحوي المحبة كاملة بكل علاقاتها, فهو المحبة بصورة تامة. كما جاء في بعض القواميس الكتابية القول ((ليس الله مجرد محب بل هو الحب ذاته, فالحب هو ذات طبيعته, ومنه تشع هذه الطبيعة لتكون المجال الذي يعيش فيه أولاد الله)) (( لقد لخص كاتب رسالة الوحي المسيحي بقوله (الله محبة) . ينظر: مجموعة من الباحثين- دائرة المعارف الكتابية(٨/٣) وأيضا مجموعة من الباحثين - قاموس الكتاب المقدس , ص١١١٣ .

(٢٧)أوغسطين, خواطر فيلسوف في الحياة للقديس أغوسطينوس, نقلها إلى العربية الخوري يوحنا الحلو , ط٨, دار المشرق, بيروت, ٢٠٠٨, ص١١.

٢٩) الحلاج, الحسين بن منصور, ديوان الحلاج, جمعه وقدم له د. سعدي ضناوي, ط١, دار صادر, بيروت, لبنان, ١٩٩٨, ص٤٤ .

(******)الامام علي ,نهج البلاغةج ٧,ط١تحقيق : شرح : الشيخ محمد عبده, النهضة – قم١٤١٢,,ص٢٢٨

(٢٨) أوغسطين, الاعترافات, نقلها إلى العربية الحور أسقف يوحنا الحلو, ط٨, دار المشرق, بيروت, ٢٠٠٧, ص١٩٧ .

(٢٩) رسالة يوحنا الأولى, ٤: ٧-١٠ .

(٣٠) متى, ٢٢: ٤٠, ورد ذات النص في مرقس(١٢: ٢٨: ٣٢) .

(٣١).مرقس:١٢:٢٨-٣٤

(٣٢) تانكره, أدولف, خلاصة التصوف المسيحي, (المبادئ): ترجمة الارشمندويت, يوسف فرح, المطبعة الكاثوليكية, بيروت, ١٩٥٦, ص١٢٥ .

(٣٣) لوقا: ٦: ٢٧-٣١ .

(٣٤)يوحنا: (١٤-١٥) .

(٣٥)يوحنا(١٤-٢١) .

(٣٦) تانكره, أردلف, خلاصة التصوف المسيحي, ص١٢٥ .

****** الانجيل ، متي ، ١٠ :٣٩

[٣٧] الكناني ، ناجي حسين ، المعرفة الصوفية ( دراسة فلسفية في مشكلات المعرفة ) دار الجيل ، بيروت ، ص ٢٠١.

[٣٨] الكناني ، ناجي حسين ، المعرفة الصوفية ( دراسة فلسفية في مشكلات المعرفة ) ، بيروت ، ص ٢٠١.[٣٩] السهروردي ، شهاب الدين ، هياكل النور ، تقديم محمد علي ابو ريان – ط ١ ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ص ٧٤ .

[٤٠] السهروردي - شهاب الدين ، مجموعة مصنفات شيخ الاشراق ، كتاب كلمة التصوف ، تصحيح د . نجف قلي حبيبي ، شهر اب ، ص ١٣٧ .

[٤١] السهروردي ، الديوان ، جمعه وحققه وعلق عليه د. الشيبي ، ص ٥٤-٥٥ .

[٤٢] اللجاني , عبد الرحمن بن يوسف , قطب العارفين في العقائد والتصوف , تحقيق وتقديم , د. محمد الدياجي , بيروت , ص١٦٢

[٤٣] السهروردي ، الديوان ، جمعه وحققه وعلق عليه د. الشيبي , ص٥٤ .

[٤٤] الشيبي ، كامل ، شرح ديوان الحلاج ، مكتبة النهضه ،بغداد ١٣٩٤ هـ ،١٩٧٤ م. ص٢٠٢ , * :- المولـه اسم فاعل للولـه وهو ذهاب الفعل والتحير من شدة الوجد .

[٤٥] الشيبي ، كامل ، ديوان الحلاج ، ص ٦١ .

(٤٦) الشهيد الثاني,الرسائل, ت٩٦٥ ج, ٢ ط١,تحقيق : رضا المختاري, مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي, الناشر : مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي - قم – ايران,سنة الطبع : ١٤٢٢ - ١٣٨٠ ش ص٨٠٤

(٤٧)نفس المصدر